تجليات فكرة صراع الأجيال

في مسرح توفيق الحكيم

مسرحية (لو عرف الشباب) نموذجًا

إعداد الدكتورة

آمال شوقي محمد يحيى

كلية الألسن - جامعة عين شمس

تجليات فكرة صراع الأجيال في مسرح توفيق الحكيم
مسرحية (لو عرف الشباب) نموذجًا

آمال شوقي محمد يحيى

كلية الألسن، جامعة عين شمس ، مصر.

البريد الإلكتروني: Essam22@azhar.edu.eg

الملخـــص :

تعد مسرحية "لو عرف الشباب" واحدة من تلك المسرحيات الذهنية العقلية التي ترتبط بقضية مهمة من قضايا المجتمع المصري، والعلم الحديث أو الخيال العلمي وهي فكرة (صراع الأجيال) التي تقوم على العلاقة بين الشباب والشيوخ وهو ما قام "الحكيم" بمعالجته في المسرحية. وجاء هذا البحث للإجابة على تساؤل: كيف انعكست ظاهرة (صراع الأجيال) في النص؟ وذلك من خلال أربعة محاور أساسية: أولًا- أسباب المشكلة في المجتمع والنص. ثانيًا- مظاهر مشكلة صراع الأجيال في المجتمع والنص. ثالثًا- نتائج المشكلة وأثارها. رابعًا- علاج المشكلة، وموقف الكاتب من كيفية العلاج.

الكلمات المفتاحية: فكرة، صراع الأجيال، مسرح، توفيق الحكيم، لو عرف الشباب، مسرحية.

Manifestations of the Notion of Generations Struggle in the Dramaturgy of Tawfiq Al- Hakim
The Play of *Law aref al- shabab* (If Youth knows) as a Model

By: Ama'l Shawki Mohammed Yahia
Faculty of Al- Alsun
Ain Shams University

Abstract

The play of *Law aref al- shaba* (If Youth Knows) by Tawfiq Al-Hakim is considered one of the intellectual and mental plays which is connected with an important issue derived from the Egyptian society and modern science or science fiction. This issue is introduced by the notion of (generations struggle) as it discusses the relationship between youth and the elder people as tackled by Al- Hakim in this play. Hence, this research is designed to answer this inquiry; how was that phenomenon (generations struggle) reflected in the text? The answer is achieved through four basic axes. First, the causes of the problem in the society and the text. Second, the manifestations of the issue of generations struggle in the society and the text. Third, the results and the consequences of the issue. Fourth, tackling the issue and the attitude of the author towards the manner of treatment.

Keywords: notion, generations struggle, dramaturgy, Tawfiq Al- Hakim, if youth knows, play

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمـــة

إن فترة الشـباب من أخضـب مراحل العمر، فهي القوة الظاهرة بين ضـعف الطفولة وضـعف الشيخوخة، وقد قرر القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: {اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} (سورة الروم، الآية: ٥٤)، ومن غير المعقول تصور الشباب بأنهم قدرة جسدية أو غريزية فحسب! وإنما هم استنارة فكر، وينبوع أمل، وإصرار عمل، وصلابة عزيمة... إلخ.

ولما كان الأدب هو القيمة الفنية الجميلة التي ينتجها الأدباء للمجتمع، فيعكس مظاهره الاجتماعية والاقتصـادية والثقافية، فمنذ زمن بعيد والأدب يرتبط بالمجتمع ارتباطًا وثيقًا؛ إذ كانت أشعار الشاعر اليوناني "هيزبود" تتحدث عن الإله "زيوس" الذي يكره الأعمال الظالمة، وينحاز إلى جانب العدالة ويفتك بالظالمين، كما تتغنى بعمل الإنسـان اليوناني في حقله ومراحل سـنته الإنتاجية الزراعية من مواسـم للحرث والزرع والحصـاد، وكذلك أعمال الشـاعر "هوميروس" في (الإلياذة والأوديسا). وعلى رغم من ازدحام هذه النصوص بالشخصيات الأسطورية، فإنها تصور لنا جوانب مختلفة من حياة المجتمع اليوناني في تلك الفترة التاريخية، فهي تتكلم عن تطور النظم الحربية ودرجة التطور الاقتصادي والتقني والتجاري... إلخ.[١]

وفي علاقة الأديب بمجتمعه يقول يوسـف إدريس: "أما نحن فإننا ندعو من أجل تدعيم هذا الأدب وتركيزه وتوضيح اتجاهاته إلى سلوك سبيل الالتزام، سموه ما شئتم ذلك هو الأدب الحي الذي ينبع من المجتمع ويصب فيه فيكون صورة حية له، وذلك هو الأديب الذي يصهر عواطفه جميعها في بوتقة الناس وحاجاتهم فينفذ إلى أغوار مشكلاتهم، فيصدق في الإحساس وفي التعبير عنها والمشاركة

(١) محمد عبد الرحمن المر: ملاحظات حول علاقة الأدب بالمجتمع، جمعية الاجتماعيين في الشارقة، ص ١٣٩.

في إيجاد حلول لها". [١] فالأديب لا يشخص الأمراض المجتمعية فقط، بل يناقشها ويضع لها حلولا تساهم في النهوض بالمجتمع.

فهل هناك خلاف بين من يؤثر، ومن يتأثر؟! يعنى هل المجتمع يؤثر في الأديب، أم أن الأديب هو الذي يؤثر في المجتمع؟

الأديب لديه وجهة نظر بالضـرورة تلح عليه، ويريد التعبير عنها من خلال أدبه الذي سـيخرج للمجتمع؛ "فالأديب حين يتأثر بالمجتمع إنما يعكس فهمه هو على هذا المجتمع، والأدب تصـوير لهذا الفهم ونقل له. أما أن ينقل الأديب حياة المجتمع أو أن يكون المرآة التي تعكس حياة هذا المجتمع ليتلقاها أو يراها المجتمع ذاته فعبث ليس من الأدب في شـيء. فالأديب يتخذ لنفسـه دائمًا موقفًا "فكريًا" من مجتمعه، ومن هنا فقط تأتي الفرصـة لأن نقول: إن الأديب يؤثر في مجتمعه، إنه يعيش في مجتمعه، ولكنه لا ينتج أدبه إلا في الحالة التي تستقل فيها ذاته عن هذا المجتمع، متخذة موقفا فكريا خاصا به ."[٢]

والحقيقة إنني لا أجد تعارضًـا بين الاتجاهين؛ فللأديب وجهة نظره التي سـواء التقطها من المجتمع أو من عوامل خارجية أخرى ما أتت إلا لتعبر عنه وعن مجتمعه، والأدب الصـادق هو الذي يعكس تجربة العصـر. "فحقيقة المشـكلة التي يتوهمها المرء في نفسـه، إنما هي انعكاس لذاته في المجتمع أو انعكاس المجتمع في ذاته، فنظرية الانعكاس Reflection Theory التي ظهرت في القرن العشرين قد ربطت بين الأدب والحياة الاجتماعية، أو البيئة والوسط والمحيط، كما يعبر الأديب عن قيم إنسانية مثل الحرية والعدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية"[٣]؛ لذا فإنه يتأكد دور الأديب وفق نظرية الانعكاس في تصـوير الحياة الاجتماعية، كما أن الأدب يعد وفقا لها سـجلا للتجربة

(١)- نقلا عن محمود محمد أسـد: الأدب وعلاقته بالمجتمع، جمعية الاجتماعيين في الشـارقة، شـتاء ٢٠٠١م، مج ١٨، ع ٧٢، ص ١٧٩.

(٢) - عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه دراسة ونقد، المكتبة الشاملة الحديثة، ص ٢٦ وما بعدها

(٣)- إيليا الحاوي: في النقد والأدب، دار الكتاب، بيروت، ط١، ١٩٧٩م، ص ٨٩.

الإنسانية.

وقد كانت الكتابات الأدبية تهتم بالمرحلة الواقعية الاجتماعية مثل روايات "نجيب محفوظ" التي يمكن الرجوع إليها لمعرفة العادات والتقاليد والأعراف في المجتمع المصري، وهى تعد تتويجًا لمراحل مختلفة في المجتمع، "فالثلاثية" مثلا صورت المجتمع القاهري بين عامي ١٩١٧و١٩٤٤ من خلال أسرة السيد أحمد عبد الجواد، ورواية "القاهرة الجديدة" التي رصد فيها صور الفساد الاجتماعي والسياسي، وبطلها "محجوب عبد الدايم" مثال للإنسان المطحون الذي لم يترك له الفقر فرصة الاختيار، ودفع به على الفساد الأخلاقي والسياسي الذي حفلت به الرواية، ورواية "السمان والخريف" هي أيضًا من روايات المرحلة الواقعية لما تحويه من أحداث قريبة وتصور للصراع السياسي بين رجال الأحزاب السياسية بعد ثورة ١٩٥٢.

كذلك فإن كتابات يوسف إدريس تطرقت لتفاصيل الواقع المصري الاجتماعي في زمنه، واحتفت بحياة القرية والمدينة المصرية كما جاء في مجموعته "أرخص ليال" وكذلك في مجموعته القصصية الثانية "جمهورية فرحات" عام ١٩٥٦، التي تدور حول الصول "فرحات" وأفكاره عن عالم الشرطة والإجرام[١]، وقد قال د. "طه حسين" في صدق التجربة في كتابات إدريس: "أجد فيه من المتعة والقوة ودقة الحس ورقة الذوق وصدق الملاحظة وبراعة الأداء مثل ما وجدت في كتابه الأول (أرخص ليال) على تعمق للحياة وفقه لدقائقها وتسجيل صارم لما يحدث فيها". [٢]

وقد تناولت العديد من الدراسات قضية الصراع بين الأجيال منها على سبيل المثال لا الحصر:

- غالي شكري: الموجة الجديدة وصراع الأجيال، مؤسسة الأهرام، س٤، ع ٩، سبتمبر، ١٩٦٨م.
- السيد محمد الشاهد: إشكالية الحوار بين الأجيال: نظرة تحليلية للأسباب والانعكاسات الاجتماعية، جامعة الأزهر-مركز صالح عبد الله كامل للاقتصاد الإسلامي وجامعة الأزهر، كلية

(١)- هوانغ هاو في: صورة المجتمع في روايات يوسف إدريس، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ج٢، ع ٣٥، ص ٤٧.

(٢)-د. مجدي العفيفي: لذة القص في روايات يوسف إدريس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤م، ص٩وما بعدها.

الدراسات الإنسانية، ج٥، ١٩٩٨م.

- حواس سـلمان محمود: مشـكلات الشـباب في العالم العربي، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، س٣١، ع ١٤، سبتمبر ٢٠٠٢م.
- نسيمة بوزيد: صـراع الأجيال وحوار الثقافات في رواية التلميذ والدرس لمالك حداد، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار قسنطينة، ع ١٩، ٢٠١٧م.
- بوشـيبة الطيب: البطل وأشـكال الصـراع في رواية (الخندق العميق) لسـهيل إدريس، المركز الجامعي أحمد زبانة بغليزان- مخبز اللغة والتواصل، ع ٧، سبتمبر٢٠١٨م.

توفيق الحكيم والمسرح الذهني:

يعرف مسـرح "الحكيم" بالتنوع والثراء، فهو أحد أهم رواد الكتابة المسـرحية في مصـر والوطن العربي، إذ كتب الحكيم العديد من المسـرحيات التي تتعلق بقضـايا الإنسـان والمجتمع وناقش من خلالها القضايا المجتمعية.

كتب "توفيق الحكيم" المسرح الذهني المتمثل في العديد من المسرحيات خاصة بعد عودته من الخارج؛ حيث قدم فنًا أرقى فكرًا، يصور من خلاله الصراع الذي يجري داخل الذهن البشري، ويعتمد بشكل كبير على أن تكون المفاجأة في الفكرة لا في الحادثة المسرحية، أما الشخصيات فهي رموز لتلك الأفكار المتصارعة، ومن أشهر هذه المسرحيات: "أهل الكهف"(١٩٣٣) التي يدور فيها الصراع بين الفن والواقع، و"سليمان الحكيم" (١٩٤٣) التي تصور الصراع بين القدرة والحكمة[١].

وقد شغل الزمن وقضية صراع الإنسان "الحكيم" نفسه يحدثنا بنفسه عن ذلك في زهرة العمر، ففكرة الزمن ومحاولة الإنسان التغلب عليه قد شغلته دائما، كما شغلته رهبة الموت والفناء والضعف "إن الضعف هو أيضًا مظهر جمال في بعض الأحيان، لا يجب أن ننسى ذلك. إنه جمال الإنسان الذي يمتاز به عن أية قوى لا رقة فيه ولا شعور. لماذا نعد دائمًا الضعف البشري نقيصة؟ ما دمنا قد وصمنا

(١)- د. حمدي السـكوت: قاموس الأدب العربي الحديث، الهيئة العامة المصـرية للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥م، ص ١٦٧.

به إلى الأبد فلنحترمه أحيانًا ولنستثمره ولنحوله إلى فضيلة من فضائل البشر. بغير هذا فإن الحياة لن تحتمل"[١].

وقد قسم "د. مندور" مسرح "الحكيم" إلى ثلاثة أقسام، هي مسرح الحياة، والمسرح التجريدي[٢]، والمسرح الهادف. ويشمل مسرح الحياة جميع مسرحياته التي كتبها مستمدًا موضوعاتها من الواقع والحياة المعاصرة بهدف نقد بعض الجوانب النفسية أو الاجتماعية في المجتمع. والمسرح التجريدي هو ما سماه الحكيم بالمسرح الذهني مثل مسرحيات (أهل الكهف) و(شهرزاد) و(لو عرف الشباب)، والمسرح الهادف ظهر عنده بعد الثورة مثل مسرحيات (الأيدي الناعمة) و(الصفقة) و(أشواك السلام). [٣]

وقد قدم "الحكيم" للمجتمع العديد من المسرحيات التي نشرها تباعًا في جريدة الأهرام، ثم جمعها ونشرها في كتابه "مسرح المجتمع"، ويتناول فيها عددًا من مشاكل المجتمع المصري الحية، مثل مشكلة المرأة، وفساد الحياة السياسية، وطغيان التيار المادي، وحياة الريف المصري، ويرى "د. مندور" أن هناك سببان لنشر تلك المسرحيات، أولهما: أن يقدم للصحيفة مسرحيات خفيفة حية تثير اهتمام جمهرة قرائها، وثانيهما: أن يرد عمليًا على النقاد الذين أخذوا يتهمونه بالإيغال في المسرح الذهني والهروب من واقع المجتمع. [٤]

وتعد مسرحية "لو عرف الشباب" واحدة من تلك المسرحيات الذهنية العقلية التي ترتبط بقضية

(١)- ذكر ذلك في رسائله إلى صديقه أندريه، انظر توفيق الحكيم: زهرة العمر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ص٢١ وما بعدها.

(٢)- يفضل د. مندور أن يطلق لفظة المسرح التجريدي عن المسرح الذهني، لأنه يرى أن الشخصيات في هذه المسرحيات أقرب إلى الرموز منها إلى الشخصيات النابضة؛ فالشخصيات تحمل ما يمكن أن يطلق عليه (المطلق من المعنى)، انظر محمد مندور: مسرح توفيق الحكيم، مؤسسة الهنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧ م، ص ١٢٨.

(٣)- د. محمد مندور: مسرح توفيق الحكيم، ص ١٢٧

(٤)- د. محمد مندور: مسرح توفيق الحكيم، ص ١٣٠.

مهمة من قضـايا المجتمع المصـري، والعلم الحديث أو الخيال العلمي وهي فكرة (صـراع الأجيال) التي تقوم على العلاقة بين الشـباب والشـيوخ وهو ما قام "الحكيم" بمعالجته في المسـرحية. ونشـرت المسـرحية في كتاب يحمل اسـمها (لو عرف الشـباب)، وضـمت ثلاث مسـرحيات تمثيلية كانت بين القصـيرة والطويلة، وهي: "الرجل الذي صـمد" وهي قصـة تمثيلية في فصـل واحد، و"لو عرف الشباب" وهي قصة تمثيلية في أربعة فصول، و"أغنية الموت" وهي قصة تمثيلية في فصل واحد[١].

من هنا يعتمد البحث المنهج الاجتماعي[٢] في معالجة القضـية؛ إذ إنه أنسـب المناهج النقدية الحديثة التي توضح العلاقة بين الأدب والمجتمع، وسيقوم البحث بمعالجة القضية من خلال التركيز على منطلقات المنهج، وهي:

- "الأدب ظاهرة اجتماعية.
- الأديب لا ينتج أدبًا لنفسه، وإنما لمجتمعه.
- القارئ حاضـر في ذهن الأديب، وهو وسـيلته وغايته منذ تفكيره في الكتابة وفي أثناء ممارسـته لها، وعقب الانتهاء منها.
- الأديب يصدر عن أفكار طبقته وهمومها وموقفها.
- لا يطلب من الأديب أن يعكس أدبه من علاقات مجتمعه وأوضـاعه فحسـب، بل يطلب منه أن

(١)- توفيق الحكيم: لو عرف الشباب، مكتبة مصر، القاهرة، د ت.

(٢)- هو أحد المناهج الخارجية السـياقية التي تهدف إلى ربط الأدب بالمجتمع، كون الأدب مرآة تعكس المجتمع بكل مظاهره السـياسـية والاجتماعية والثقافية، وتعود هذه الدعوة إلى توجيه الأدب وجهة اجتماعية بصـفة ممنهجة إلى أواخر القرن ١٨ وبداية القرن ١٩، انظر للمزيد عن العلاقة الجدلية بين الأدب والمجتمع:

- رينيه ويلك: نظرية الأدب، ترجمة: محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٤٨، الصفحات ٩٠ وما بعدها.

- صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، إفريقيا الشرق، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٣٨ وما بعدها.

- يوسـف خليف: مناهج البحث الأدبي، دار غريب للطباعة والنشـر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٢٠ وما بعدها.

يشارك في تكييف مجتمعه وحل مشاكله وقضاياه.

- أسبقية العوامل الموضوعية أي العوامل الخارجية المكونة للشروط الموضوعية للإبداع الأدبي.
- ضرورة الالتزام في الأدب"[1].

ومن ثم الإجابة على التساؤل الذي يطرحه البحث: كيف انعكست ظاهرة (صراع الأجيال) في النص؟ وذلك من خلال أربعة محاور أساسية:

أولًا- أسباب المشكلة في المجتمع والنص.

ثانيًا- مظاهر مشكلة صراع الأجيال في المجتمع والنص.

ثالثًا- نتائج المشكلة وأثارها.

رابعًا- علاج المشكلة، وموقف الكاتب من كيفية العلاج.

تتكون مسرحية "لو عرف الشباب" من أربعة فصول متوسطة الطول تبدأ بوصف تفصيلي لحجرة مكتب كبيرة في منزل "صديق باشا رفقي"، يأتي الطبيب المعالج "الدكتور طلعت" الذي يتابع حالته ويعطيه حقنة "الأنجيو كسيل" ضد الذبحة الصدرية. وشخصيات المسرحية هم: "صديق باشا رفقي" وزوجته "جليلة"، وابنته "نبيلة" وطبيبه الشاب "طلعت" وزوجته "لطيفة" بالإضافة إلى الشاب "مدحت" خطيب ابنة الباشا ثم شخصية "صديق" الشاب، ومن خلالهم نتعرف على الحدث الرئيس، والفكرة الأساسية المتعلقة بتحول "صديق رفقي" باشا من (الشيخوخة) إلى (الشباب)، وكيف أنه بهذا التغير والتحول لا تعرفه عائلته؛ لأنها لا تتعرف على شكله بعد أن عاد شابًا، مما يحوله إلى شخص مختفٍ، ويحاول هذا الشاب البحث عن حياة جديدة مختلفة، لا يجد فيها ما كان يصبو إليه من متع الشباب.

(١)- حلاب نور الهدى: المنهج الاجتماعي في النقد نشأته وخصائصه، جامعة العقيد أكلي محند أو لحاج، الجزائر، ع ٣٨، سنة ٢٠١٥م، ص ٢٦٢.

ويمكن تقسيم الشخصيات في المسرحية من حيث الكم والكيف على النحو الآتي:

أولاً- شخصيات تمثل مرحلة الشباب في المسرحية:

- الدكتور طلعت: الذي يعالج "صديق رفقي باشا" من الذبحة الصدرية (لم يتجاوز الخامسة والثلاثين).
- لطفية: زوج الدكتور طلعت وتشكو دائما انشغاله بأبحاثه عنها (لم تتجاوز الثلاثين).
- مدحت: خطيب ابنة الباشا، ويعد نفسه للسفر إلى إنجلترا مرسلا في بعثة وزارة الأشغال بعد إتمام الزواج.
- نبيلة: ابنة الباشا وتتمتع برقي عال يظهر من خلال تأنقها في الملبس.

ثانيًا- شخصيات تمثل فترة الشيخوخة في المسرحية:

- الباشـا: لديه حكمة عالية ومواقف مشـرفة في الدولة، ويمثل رئيس وزراء الحكومة المصـرية وله باع كبير في التطورات الاقتصادية للبلاد.
- جليلة هانم: زوج الباشا تتميز بالولاء والإخلاص لزوجها في أحلك الأمور.

ويظهر من خلال عدد الشـخصـيات من حيث الكم أن الشـيوخ هم الباشـا وزوجه، أما الشـباب فابنته وخطيبها، وطبيبه وزوجته، وهذا يعكس طاقة الشباب المحيطة بالباشا صديق رفقي.

يقدم الفصـل الأول لشـخصـيات المسـرحية، ويبين الصـراع بين الطبيب والباشـا، وينتهي بانتصـار الباشـا بتحقيق رغبته، وحقنه بنفس الحقنة التي حقن بها أرانبه، ورجوعه للشـباب، وتقديمه أمام ابنته وزوجته على أنه شـاب تخرج في كلية الحقوق، ويبلغ من العمر الخامسـة والعشـرين عامًا، وينتهي بخروجه قفزًا من النافذة للخارج حيث الحرية والشباب والقوة البدنية. وتفسير غياب الباشا بأنه خرج بعد مكالمة جاءته إلى كلوب محمد علي، وفي البيت كان رئيس مجلس الشيوخ ينتظره، ومطلوب منه اليوم تأليف الوزارة. يخرج "صـديق" الشـاب صـاحب النظرة الجديدة من بيته غير مهتم بأي شـيء سوى بحريته من سجن شيخوخته.

يبدأ الفصل الثاني بوصول الباشا إلى منزل الدكتور طلعت بعد مرور عدة أيام، تشتد أزمة اختفاء الباشـا وينشـر في الصـحف تعليل اختفائه بأنه اختطاف مدبر من جمعية إرهابية، ولابد أن يكون السـبب سـياسـي لأنه رئيس الحكومة، فقد كلف بتأليف الحكومة في نفس يوم تحوله إلى شـاب. نشـرت

الصحف جائزة مالية قدرها خمسة آلاف جنيه لمن يرشد بمعلومات تكشف عن الجريمة، ثم يُستدعى الدكتور طلعت في النيابة للإدلاء بشهادته في قضية اختفاء الباشا، ثم يعود لبيته وينتهي الفصل بإنكار الدكتور طلعت للاعتراف بشخصية الباشا، وأنه هو الشاب صديق رفقي بعد أن أعطاه الحقنة ليشتد الصراع بينهما، وينتهي الفصل بعدم تذكر الدكتور لشخص الباشا/ الشاب، إذ فَقَد عقله ونسي كل شيء، وكاد أن يُصاب بالجنون.

في المنظر الأخير من هذا الفصل تقترح لطيفة علي الشاب "صديق " أن يهربا سويًا ويرفض بالطبع، ويتذكر أنه لا يستطيع فعل ذلك؛ لأن المجتمع لن يغفر لها، وله، ويذكرها بقصة ماضيه مع السيدة التي انتحرت، ويحاول أن يكشف لها حقيقته ويخبرها بما حدث فلا تصدق وتتهمه بالجنون، فسرعان ما يرجع متخاذلا ويستدرك أنه كان يمزح معها، ليستمر صراعه الداخلي خاصة بعد دفن جثمانه وتشييع جنازته الرسمية، وإصابة الدكتور "طلعت" بالجنون.

أما الفصل الثالث فيبدأ بمنظر خارجي في مصحة حلوان التي يوجد بها الدكتور طلعت، وتأتي أسرة الباشا "صديق رفقي" للاطمئنان عليه، وتحدث المفاجأة حيث يتذكر الطبيب أفراد أسرة الباشا جميعًا إلا أنه غير مدرك لوفاة الباشا مما يجعلهم يتعجبون جميعًا فيتدخل صديق الشاب ليذكره ولكنه يتهمه بالجنون ولا يتذكر شيئًا عن الحقنة ولا عن التحويل من الشيخوخة للشباب؛ مما يصعب الأمر على "صديق" ويحاول معه بكل صبر لأنه أمله الوحيد في الحياة وذاكرته، فأخذ يذكره بالحقنة والشباب ولكن دون جدوى بل أنه أخبر زوجته لطيفة أن "صديق" قد جُن، ليتحسر الباشا/ الشاب فقد ظن أن الدكتور "طلعت" يصغى إليه ويسمع ما يقول جيدًا. وينتهي الفصل باقتراح فكرة أن يعود به إلى بيت الباشا بنفس ملابسه الذي كان يرتديها عند إعطائه الحقنة حتى يرد إليه ذاكرته.

وفي النهاية ثم يعود لنا عين منظر الفصل الأول في الفصل الرابع لتنفيذ خطة إرجاع الذاكرة للدكتور "طلعت" ويتجهز الجميع لتحدث المفاجأة في النهاية ويظهر الباشا مترنحًا كما كان في الفصل الأول بالضبط ويكتشف أنه كان يحلم.

أولاً- أسباب الظاهرة في المجتمع والنص:

يعد صـرع الأجيال أقدم الصـراعات الاجتماعية قاطبة، "فلم يكن يحتاج لظهوره سـوى بضـعة أشخاص يشكلون نواة أول وحدة اجتماعية في التاريخ وهي "الأسرة"، وتشير قصة الصراع بين قابيل وهابيل، التي أنتجت أول جريمة قتل في التاريخ الإنساني إلى ذلك الصراع الدامي. "[١]

ويعرف صـراع الأجيال في اللغة بأنه: الطرح بالأرض، وخصـه في التهذيب بالإنسـان، صـارعه فصرعه يصرعه صرعًا، وصريع: شديد الصراع وإن لم يكن معروفًا بذلك، وصرعة: كثير الصراع لإقرانه يصرع الناس.

ورجل صروع الإقران أي كثير الصراع لهم: والصرعة: هم القوم الذين يصرعون من صارعوا. رجل صرعة، وقوم صرعة، وقد تصارع القوم واصطرعوا، وصارعه مصارعة وصراعًا[٢].

وتتعدد تعريفات صـراع الأجيال في الاصـطلاح، فهو حالة الفرد عندما يقع تحت وطأة دوافع نزعات متعارضة[٣]، وهو "نشاط كلي يتنازع فيه الأفراد مع بعضهم من أجل هدف معين". [٤]

والصراع أيضًا هو العملية الاجتماعية التي يرغب من خلالها كل من الفرد والجماعة في تحقيق أهداف خاصة بغرض (إشباع احتياجاته أو تحقيق مصالحه) عن طريق إبعاد أو تحطيم أو إخضاع للأفراد أو الجماعة الأخرى التي تطمح أو ترغب في تحقيق الأهداف المتماثلة. [٥]

وأرى أن التعريف الثالث أقرب أنواع الصـراعات إلى فكرة صـراع الأجيال حيث يجمع بين الوجهة الاجتماعية والوجهة النفسية ويوضح أسباب الصراع المادية أو المعنوية.

وتظل نظرة الأجيال السابقة مختلفة عن الأجيال اللاحقة وكان السابق مميز بسبقه عن الآخرين

---

(١) - سعيد عكاشة: الثورات وصراع الأجيال، مجلة الديموقراطية، مؤسسة الأهرام، مج ١٢، ع ٤٦، إبريل ٢٠١٢م، ص ٧٧.

(٢)- ابن منظور المصري: لسان العرب بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م، مادة (صرع)، ص ١٨١

(٣)- د. عبد العزيز السيد: معجم علم النفس والتربية، ج١، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٣٢.

(٤)- محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، ص ٧٢.

(٥)- د. جمال محمد مصطفى: سوسيولوجيا المجتمع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٧م، ص ٢٠

دون الاقتراب من الأجيال الأصغر سنًا واكتشاف مواهبهم وقدراتهم والاستفادة من إمكاناتهم؛ لذا فإن "إن القاعدة العريضة من الشباب تشعر بوجود فاصل زمني ومساحة من التفكير المختلف بينها وبين الجيل أو الأجيال التي تسبقها في حين أننا نجد القمة من الأجيال السابقة تسطح النظرة إلى أفكار الشباب، تمنحهم قطرات من الخبرة مع كثير من المن، ولا يترك هؤلاء مقاعدهم لمنح الفرص للشباب لإثبات وجودهم وتحقيق مستجدات نظرياتهم وأفكارهم التي هي في الغالب أكثر مواءمة لمتغيرات العصر"(١).

والحقيقة إن فترة الشباب في حياة الإنسان من أحفل أطوار العمر بالمشاعر الحارة، والعواطف الفائرة لكنها ليست عهد العافية المكتملة في البدن الناضج فقط، بل إنها -كذلك- عهد النزعات النفسية الجياشة، يمدها الخيال الخصب، والرجاء البعيد.

الأمم تستثمر شبابها وتجندها في ميادين الحرب والسلم؛ لتذلل بها الصعاب وتقرب البعيد، وتجدر الإشارة هنا أن التعارض بين الأجيال ثابت من الثوابت التي ميزت العلاقة بين جيل الآباء، وجيل الأبناء لدرجة تجدد القضية بين حين وآخر، وهو ما يصدق فيه مقولة "روزاك" صاحب كتاب (نحو ثقافة مضادة): "إن القسم الأكبر مما يحدث اليوم من جديد ومثير وأخَاذ في مجالات السياسة والتعلم والفن والعلاقات الاجتماعية أو الإنسانية (الحب، العائلة، الجماعة)، وسواء أكان ذلك نحو الأحسن أم نحو الأسوأ، فإنما هو صنيعة شبان مستلبين بصورة عميقة بل بصورة متزامنة من قبل جيل آبائهم، أو أنه صنيعة أولئك الذين يتوجهون قبل كل شيء إلى الشبان".

في صدد الحديث عن إمكانية التجديد التي تضمرها القوى الشابة، لابد أن تقفز إلى أذهاننا التجربة الفرنسية: فلقد كانت انتفاضة أيار ١٩٦٨ بما أحدثته من اهتزاز عميق في المجتمع الفرنسي خاصة والأوروبي عامة فضلا عن تأثيراتها في أوضاع الشبيبة العالمية كانت من صنيعة الأجيال الشابة

(١)- حواس سلمان محمود: مشكلات الشباب في العالم العربي، مجلة التربية، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، مج ٣١، ع ١٤٢، سبتمبر ٢٠٠٢م، ص ١٩٧-١٩٨.

على وجه الخصوص. [١] وهو ما يبرز أهمية الشباب في تحريك القوى الدافعة للثورة والتغيير.

ويبرز هذا النموذج دور الشباب الفاعل والحقيقي، وقدرته الهائلة على التغيير. ويشهد التاريخ بذلك فها هو "هربرت ماركوز" أحد أبرز المفكرين المعاصرين، الذي ارتبط اسمه بالشباب والذي غدا رمزًا لثورتهم. وبالفعل، فقد كان "ماركوز" يتوجه بفكره إلى الأجيال الشابة، ويتأثر بمشاعرها ومطالبها، وكان يتوقع من حركات الشبيبة بما تنطوي عليه من أشكال الاعتراض والتمرد أن تشق الطريق نحو تحرر حقيقي. [٢]

وتكمن أهمية الشباب في المسرحية في الجملة الافتتاحية العنوان، ودلالته وما فيه من غموض، وإعمال للعقل والذهنية (آه لو عرف الشباب) فالدكتور يتحدث بالعلم، والباشا يتحدث بالحكمة والتجربة الزمنية التي مر بها:

- "الدكتور: أيهمك حقا يا "باشا" أن يعود إليك شبابك اليوم؟!..

- الباشا: يهمني؟!.. يهمني فقط؟! إنك تلقي السؤال بكل بساطة كما لو أنك تقول "أيهمك ان تقرأ صحف الأمس؟.. ولكنك معذور يا ابني.. معذور.. صدق من قال: آه لو عرف الشباب!..

- الدكتور: عرف ماذا؟..

- الباشا: عرف أهمية ما يملك.. يوم كنت في مثل سنك، كنت أنفق شبابي بغير حساب.. كأنما هو شيء لا يمكن أن ينفد أو ينقص أو يزول.. وا أسفاه!.. "[٣]

من خلال النص تظهر فكرة الصراع بين الأجيال فهل الأفضل البقاء على الزمن كما هو، أم أن فكرة التغيير -إن أمكنت- تكون الأفضل؟ هذه هي النقطة الذهنية الفلسفية في المسرحية وهي - في رأيي - لا ترتبط بعصر كتابة المسرحية فقط، وإنما قضية الزمن تؤرق الإنسان طوال حياته.

(١)- علي حرب: أضواء تراثية على مرحلة الشباب: تعاقب الأجيال في المنظور الخلدوني، معهد الإنماء، مج ٢، ع ١٧، ١٨، ديسمبر ١٩٨٠م، ص ٢٨٧.

(٢)- هربرت ماركوز: نحو التحرر، ترجمة: إدوار الخياط، دار الآداب، ١٩٧٢م، ص ٨-٩.

(٣)- المسرحية، ص ٤٠.

وسرعان ما يعرض الطبيب مشروعه العلمي الذي يجربه على الأرانب، وهو حقن الأرنب الهرم بمادة ما تعيد إليه شبابه وحيويته. فيطلب الباشا أن يحقن بهذه الحقنة وبالطبع يرفض الطبيب في البداية، إلا أن الباشا يصر على ذلك فيأمره أن يحقنه لتحدث المعجزة ويعود شابًا فور حقنه، وتحدث المفاجآت بعد ذلك.

فإذا تطرقنا لمعالجة المشكلة من الناحية الاجتماعية وجدنا أن أسباب الصراع التي أفرزها المجتمع من منظور المنهج الاجتماعي:

أولًا- على المستوى الشعوري:

الصراع بين الجيل الأكبر والجيل الأصغر في أي مجتمع هو محاولة من الأول لنفي الثاني، ومحاولة الثاني الحصول على اعتراف من الأول أو قتله، وعلى المستوى الشعوري، فبسبب المنظومة الأخلاقية التي تطورت عبر تعقد تركيب المجتمعات الإنسانية، ينوب التهميش كفعل من جانب الكبار ضد الصغار مقام عملية النفي.

ثانيًا- على المستوى اللاشعوري:

بينما تقوم رغبات "التمرد" واختيار طريق مخالف لإدارة الكبار مقام رغبة قتلهم، ومن ثم يتبلور صراع الأجيال في صورته النهائية على النحو التالي "يشكو الكبار من تمرد الصغار وسرعتهم، ويشكو الصغار من جمود الكبار وتسلطهم وهيمنتهم على إدارة المجتمع، واتخاذ قرارات تؤثر على الجميع، وعلى الأخص جيل الشباب المحروم من الإسهام في صياغة القرارات التي تؤثر على مستقبله. [١]

ويتوقف صراع الأجيال على معدل التغير الذي يطول المجتمع؛ إذ إن حجم التغيرات الحادثة في عملية تدوير السلطة والتغير الثقافي. فكلما ارتفعت معدلات تسارع هذه التغيرات ازداد صراع الأجيال شراسة بحيث يمكن أن تقصر المسافات الزمنية الفاصلة بين الجيل والجيل الذي يليه إلى بضع سنوات، ربما لا تزيد على أصابع اليدين. فيما كانت المجتمعات الأقدم تشهد معدلا منخفضًا للتغيير كفل تخفيف الصراعات الحيادية عند حدود الدنيا.

(١) - لمسرحية، ص ٧٧.

لا يحتاج صـــراع الأجيال لفترة تعبئة حتى يتحول للاقتتال مثل الصـــراعات الاجتماعية الأخرى فهو موجود على الدوام، ولا يترجم إلا في حالة صـدام عنيف في لحظات نادرة، وإذا كانت الصـراعات الطبقية والعرقية والمذهبية تدور حول الســلطة والثروة، وقد تتحول إلى "ثورات" تقوم بها طوائف وجماعات تعتقد أنها تعاني من التهميش والظلم ضد جماعات أخرى مسيطرة بهدف تعديل سلم القيم والاتجاهات القائمة في المجتمع وحتى اجتثاث الطبقة المسـيطرة نفسـها والحلول محلها، فإن صـراع الأجيال لا يؤدي بالضـرورة لثورات، فعادة ما يتم تحويله في صـورة انفراد الصـغار بإخراج طاقتهم في مجالات لا ينافسهم فيها الكبار مثل الرياضة والفنون والترفيه. (١)

يتعامل النص مع قضية الصراع بالنظر إلى الشباب من منظورين مختلفين: المنظور الأول: يركز على الشـكل الخارجي، كون الشـباب قوة جسـدية، المنظور الثاني: يركز على صـفات الشـباب حيث الجرأة في اتخاذ القرارات، والتسرع وعدم الخوف من المستقبل.

تتلخص أسـباب المشـكلة في المجتمع في أسـباب اجتماعية وثقافية، وأفكار مغلوطة عن الحرية، وتناقض في العقلية، كذلك اختلاف الخطابين بين الشـيوخ والشـباب فهناك بعض الأزمات تتلخص في النقاط الآتية:

١- أزمة لغة مشـتركة بمعنى ثنائية المصـدر في لغة الآباء (الماضـي والحاضـر) في مقابل أحادية المصدر في لغة الأبناء (الحاضر فقط).

٢- الحزم والقدوة في مقابل التحرر والتسيب(٢).

٣- التحرر المتطرف في بعض الأحيان.

٤- التحرر من سلطة المؤسسات الحكومية.

---

(١)- المسرحية، ص ٧٨.

(٢)- السـيد محمد الشـاهد: إشـكالية الحوار بين الأجيال: نظرة تحليلية للأسـباب والانعكاسـات الاجتماعية، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، مركز صالح عبد الله كامل للاقتصاد الإسلامي، القاهرة، ج٥، يونيو ١٩٩٨م، ص ١٢٩.

وقد أظهر النص هذه الأزمة المشتركة بين الجيلين من خلال الحوار بين الشخصيات، والتجربة التي خاضها الباشا بنفسه؛ فالشباب لا تعنيهم الوظائف الحكومية، أو الأجور والمرتبات الثابتة، وهو بالطبع عكس ما نراه في الشيوخ وهذا ما رسخ له الحكيم في المسرحية، فإن "مدحت" خطيب ابنته كان له مستقبلا باهرا بعد سفره إلى إنجلترا، والعمل في وزارة الأشغال، لكنه عدل عن فكرة السفر بعد وفاة "صديق باشا رفقي"(حماه) واكتفى بعمل مشروع مربح في بلده دون سفر، خاصة أن زوجته سترث أموالًا كثيرة من أبيها.

ثانيًا- مظاهر المشكلة في المجتمع والنص:

للمرأة في المجتمع المصري مكانة بارزة، وقد وظف الحكيم صورة المرأة بأنواعها الزوجة والابنة في النص، وخص بالذكر ما كانت عليه نساء مصر قبل ثورة ١٩١٩م من حجاب، فعلى الرغم مما كانت فيه النساء من حجاب إلا أن "صديق رفقي" باشا كانت لديه في شبابه علاقات كثيرة معهن، إذ يقول متحسرًا في مرحلة شبابه: "كنت معبود النساء على الرغم مما كانت فيه نساء مصر يومئذ من حجاب"(١). وذلك لم يقلل من قيمة المرأة؛ فحكايات التاريخ حافلة بقصص بطولات كثيرة لنساء كثيرات حملن راية الحق والدفاع عن الوطن جنبًا إلى جنب مع الرجال(٢).

تبلورت مظاهر صراع الأجيال في النص من خلال تلك التجربة الجديدة التي اكتشفها الدكتور طلعت، وصديقه الأمريكي، أنه ما دام يمكن تجديد الخلايا الحية للحيوان، فيمكن بالتجربة ان يحدث ذلك مع الإنسان بعد إقناع الباشا له؛ ليخلص "الحكيم" في النهاية أنه إذا تغير الزمن فإن الإنسان يظل عاجزًا عن مواكبة هذا التغير.

وجاء تعليل عدم إعلان التجربة بسبب وجوده في مصر، وأنه لا يريد أن يخلق لنفسه أعداء وخصوما وحسادًا: "الدكتور: أعلنها؟.. أأنا مجنون؟!.. إني لم أخبر أحدا بأمرها إلا أنت الآن.. أنسيت يا باشا أننا في مصر؟! لماذا أخلق لنفسي أعداء وخصوما وحسادًا في طرفة عين؟!.. أيستطيع

(١)- المسرحية، ص ٤٠.

(٢)- آمال السبكي: الحركة النسائية في مصر بين الثورتين، طبعة الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٨٦م.

رجل نافع أن يظهر في بلادنا، دون أن تتألب عليه الحشرات السامة وتتحالف على مجهوده العناصر التافهة بكل ما لديها من وسائل وأساليب وقوى.. مجتمعنا الحاضر للأسف لا تعيش فيه غير الوصولية والتهريج والدجل.. وأنا رجل كل ما أحتاج هو أن أختفي خلف العمل.. فإذا وصلت إلى شيء فيجب أن أحيطه بسياج الكتمان.. إلا عن أهل العلم المختصين لنتشاور في نتائجه.. كل ما عولت عليه الآن هو السفر في إجازة الصيف إلى أمريكا لأعرض هذه التجارب على زميل آخر لي في جامعة روشستر، من المشتغلين بمسألة تجديد الخلايا.. "[1].

ويلخص الحوار السابق أسباب وجود تلك المشكلات في المجتمع المصري:

أولًا- فكرة السفر إلى الخارج. وطموح الشباب للهروب خارج أرض الوطن؛ هربًا من سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية.

ثانيًا- فكرة عدم ترحيب مصر بالعلماء وإخفاء الاختراعات عن الآخرين تجنبًا لشرهم.

ثالثًا- ترحيب الغرب بالاختراعات والاكتشافات الجديدة.

رابعًا- الغزو الفكري، فالمجتمع العربي الآن يعد عرضة للغزو (التحدي) الحضاري الغربي، بل ويعتبر مواجها حقيقيًا ومباشرًا لهذا التأثير. فأبناء الجيل الجديد من العرب يتأثرون بعادات الغرب وبمفاهيمه ومبادئه مما يجعل تربيتهم أصعب مما لو لم يكونوا تحت هذا التأثير[2].

وقد اهتم الحكيم في مسرحيته لإبراز الصراع بين الشيوخ والشباب ببيان الفرق بينهما في نقاط ثلاثة، هي:

العقل، وطريقة التفكير، وطريقة التعامل مع الحياة.

اختلفت بالطبع طبيعة شخصية البطل/ الباشا في التفكير والحركة، فهو الآن شاب في بادئ العمر يحتاج إلى كثير من الأموال، فلم تعد تكفيه مبلغ العشرين جنيها التي أقرضه إياها طبيبه منذ ترك منزله.

(١)- المسرحية، ص ٤٤-٤٥.

(٢)- د. حمد الله ربيع: الفوضى التربوية في الوسط العربي (مسؤولية الاسرة والمجتمع)، المكتبة الالكترونية الشاملة، إصدار أكاديمية القاسمي كلية اكاديمية للتربية، باقة الغربية، ٢٠٠٥م، ص ٢٨

فقد أنفقها، وهو الآن في غاية الصحة والعافية والنشاط يريد أن يفرح، وأن يلعب، وأن يأكل ويشرب، وأن يهرج، وأن يمزح، وأن يسهر وأن يضرب، وأن يبطح، وأن يغازل، وأن يعشق، وأن يسهر، وأن يحب.

على الرغم من استمتاع الباشا بالشباب، فإن المشكلات بدأت في الظهور لأنه لا يستطيع الاستمتاع بنقوده، فإمضائه لم تعد بها رعشة الشيخ الكبير مما يجعل خطه مختلفًا عن ذي قبل: "صديق: الحق يا طلعت الشباب نعمة.. الشباب متعة.. الشباب جنة.. ما كل هذه الجميلات في الشوارع والحوانيت! منذ أسبوع واحد فقط.. كنت أمر بهن وأنظر إليهم بعين كليلة وأترنم هامسًا: "أوّاه لو عرف الشباب وآه لو قدر المشيب! " اليوم أنا أعرف وأقدر في آن!.. ولقد عشت هذه الأيام الثلاثة، كمن يعيش معجزةّ!.. ولكن النقود يا طلعت.. النقود.. كيف أعيش بغير مال؟.. مالي الذي جمعته على مر السنين.. لا أستطيع أن أنفق الآن منه؟.. الآن والحياة تولد عندي من جديد باسمة بهيجة؟!.. تكلم يا طلعت.. تكلم.. دبرني!.. "(١).

لقد أصبحت مفردات صديق باشا (الشاب) هي الصحة والعافية، والنشاط والسرعة، الضحك والأكل والشرب، والمزاح والسهر، الغناء والبكاء الجري والإنفاق الجوع والشبع.

جرأة الشباب:

الباشا "صديق رفقي" عندما كان شابًا أصبح وزيرًا قبل أن يتم الأربعين عامًا، وكان يتسم بالجرأة في التعامل مع المرأة، أما الآن – بعد حقنه بحقنة الشباب– فقد أصبح لديه مقومات الشباب فلا يستطيع أن يخلع عن ثوب تفكيره الذي كان عليه، وهو ما كان يدهش الآخرين منه، ولعل الحكيم أراد في معالجة القضية هنا؛ ليبرهن أن العقل والجسد شيء واحد لأن الإنسان لا يستطيع أن يتنصل من ماضيه أو يهرب من حاضره ويعرقل مستقبله. ونرى هذا كثيرًا في حواره مع "لطيفة" زوجة الدكتور "طلعت".

–"لطيفة: نعم يا صديق.. هلم بنا نكتشف الحياة معًا.. هلم بنا نقرأ معا هذا الكتاب الجديد علينا!..

(١)– المسرحية، ص ٧٦.

-صديق: (مطرقًا) وا أسفاه!

- لطيفة: ماذا بك يا عزيزي صديق؟!

- صديق: (كالمخاطب نفسه) هذا الكتاب الجديد علينا!

- لطيفة: لا أراك متحمسًـــا لقراءته؟!. أعجب ما فيك هو أني ما رأيتك قط متحمسًـــا لشـــيء.. هذه الحماسة التي لا يمكن أن يخلو منها قلب شاب!.. كل فكرة وكل اقتراح تقابله بالتفكر أو التشكك أو الابتســـام أو الصـــمت أو الإطراق.. كأنك عرفت.. وخبرت.. وتحقق فألك.. وليس شـــيء عليك بجديد!.. "[1]

فراسة المرأة تجعلها تقف عند تحليل مستوى تفكيره فهو يملك قلب شاب، وعقل رجل شيخ عليه أن يعمل عقله جيدًا قبل الخوض في أي أمر. وهو ما تراه "لطيفة" عكس صفات الشاب المتسرع والذي لا يفكر كثيرًا في الأمور.

خبرة الشيوخ:

صدرت كلمات الباشا في المسرحية حكيمة متقنة مرنة، فعلى رغم حداثة سنه بعد تحويله لشاب فإنه يعد من الحكماء:

-الدكتور: (كالمخاطب نفسه) نعم.. نعم.. أستطيع ذلك ولكن أن نفسي لم أزل غير مصدق لما فعلت.. رأســي يدور بي وكأني في حلك لابد لي من بعض الوقت، لأرى الأشـياء في وضـوح.. وأقدر النتائج.. ". [2]

هذه الأسباب التي جاءت في النص هي عينها أسباب وجود تلك الصراعات بين الأجيال الماضية والاجيال القادمة أو بين الآباء والأبناء على اختلاف أشـكال الصـراع، فإن الشـباب قوى عظمى يجب استغلالها .

أخذ "د. محمد مندور" على "توفيق الحكيم" في مســرحه الذهني "أن الشــخصــيات ينقصــها

(١)- المسرحية، ص ٨٨.

(٢)- المسرحية، ص ٦٢_٦٣.

الكثير من القوة الدرامية، بل إنه يراها تبدو في معظم الأوقات تردد جوانب الرأي المختلفة في القضية التي يعالجها". [1]، وهذا الرأي يحالفه الصواب بشكل كبير؛ وذلك يرجع إلى تركيز "الحكيم" على الفكرة التي تفرض نفسها على العنوان نفسه.

أشكال الصراع في المسرحية:

يتجلى في المسرحية بشكل واضح الصراع بين الأجيال بين الآباء والأبناء، بين القديم الراسخ والجديد الرافض، عمل الزمن على ترسيخها في الذاكرة الجمعية، وعاش بها الفرد سلوكًا منمطًا لا مناص له منه، وأخذ الشباب فيه دور الانتفاضة والثورة، والرفض، والتمرد على كثير من المفاهيم السائدة التي كادت أن تصبح أشياء مقدسة.

ففي هذه المسرحية الابنة لم تعد تعرف أباها مما جعله يعيش صراعًا داخليًا، حيث أرجعه تصرفها إلى الماضي الذي يذكره بهويته، والحاضر الذي يفرضه عليه تأثير حقنة الشباب عليه، ففي المسرحية نوعان من الصراع:

١- صراع الأنا مع ذاتها.

٢- صراع الأنا مع الآخر.

أولا: صراع "الأنا مع ذاتها":

يظهر من خلال استرجاع البطل لأحداث كانت جزءًا من حياته، حيث يرى أحداث عمله وحكايات بيته أمام عينه، ولا يستطيع البوح والتصريح عن كنهه لارتدائه ثوب الشباب. كما يستحضر تفاصيل حياته مع زوجته وحبيبته، حتى ابنته التي لم تعد تعرفه بعد، فهو بالنسبة إليها الشاب حديث التخرج الذي يبحث عن وظيفة.

لم تعرف نبيلة أبيها بعد أن أصبح شابًا، وقدمه الدكتور طلعت لها على أنه شاب في الخامسة والعشرين من عمره تخرج في كلية الحقوق جاء مع الدكتور لوساطة عمل، ولكنها فوجئت بذوقه في ملابسها وتعجبت من ذلك.

---

(١)- د. محمد مندور: مسرح توفيق الحكيم، ص ١٢٨.

ثانيًا: الصراع مع الآخر:

أ- صراع بين "الباشا" والدكتور "طلعت":

مر الصراع بين الباشا والدكتور "طلعت" بمرحلتين:

- المرحلة الأولى:

قبل أن يصبح الباشا شابًا، يظهر "الحكيم" الصراع بين الشخصيتين من حيث الفئة العمرية، وسمات تلك الفئة يظهر من خلال الحوار الآتي:

بعد أن ذكره الدكتور طلعت بحادثة المرأة التي أحبها وعشقها، وقصة انتحارها بعد علم زوجها:

- "الباشا: اسكت يا ابني.. اسكت يا "طلعت".. لا تذكرني... لا تذكرني.. حقا.. كانت جرأة!.. لكنه الشباب!
- الدكتور: (ناظرا إليه بعجب) لكأنك تنطق كلمة سحرية!.. أنا شخصيًا لست أجد لها سحرًا.. صدقني يا "باشا".. لو خيرت في أن أعود عشرة أعوام إلى الوراء لما رضيت.. بل إني أحيانًا أتمنى في سوالفي متعجلًا بضع شعرات بيضاء.. تكسبني على الأقل وقار العلماء.. وتجعلهم في بلادنا يصغون إلى رأيي.. ويصدقون بعض ما أقول.. "[1]

ويظهر الصراع المتبادل بين الطرفين رغبة كليهما في تغيير عمره الحقيقي؛ فالناس في الحقيقة تسمع لكلام الأكبر سنًا، وتصدقه وتعجب به؛ لذا يتمنى الدكتور أن يتمتع ببعض الشعيرات البيضاء؛ لتكسبه وقارًا وقدرة على الإقناع.

- المرحلة الثانية بعد تحويله شابًا:

-"الدكتور: ألا ترى الورطة؟!.. أين هو الآن "صديق باشا رفقي" الذي سيؤلف الوزارة؟!

- الباشا: وأنا أين ذهبت؟

- الدكتور: أنت؟! الشاب الخجول الساعي في طلب وظيفة!

- الباشا: ما هذا الكلام الفارغ؟!

(١)- المسرحية، ص ٤١.

- الدكتور: أعرف.. أعرف أنك لم تزل تحتفظ داخل نفسك بكل دقائق شخصيتك الكبيرة.. بكل ماضيك، وكل تجاربك، وكل كفاءتك.. لم يستجد عليك شيء إلا الشباب الظاهري الجثماني.. ولكن الناس.. أيمكن أن يصدق الناس ان هذا الشاب هو نفسه "صديق باشا" السياسي الهرم!؟..

- الباشا: وإذا أكدنا لهم ذلك؟..

- الدكتور: من الذي يؤكد لهم ذلك؟.. أنت؟.. يضعونك في الحال في مستشفى الأمراض العقلية، مع أولئك الذين ادعوا شخصيات "هتلر" و"موسوليني" و"نابليون"!. وتنشر الصحف في اليوم التالي خبرًا طريفًا عن شاب مثقف أُصيب بخبل.. يزعم أنه "صديق باشا رفقي"!

- الباشا: أنت تؤكد لهم وتثبت التجربة".

ب-الصراع مع زوجة الدكتور "لطيفة":

يحتد الصراع بين صديق الشاب ولطيفة زوجة الدكتور التي تتحير في أمره ولا تعرف إن كان شابًا أم شيخًا:

- "لطيفة: لأن هناك فرقًا بين عينك ولسانك.. نظراتك تبرق أحيانًا بوميض الحب الدافئ.. فإذا نطق لسانك.. خرجت منه كلمات موزونة بميزان العقل الهادئ!..
- صديق: لم ألاحظ ذلك!..
- لطيفة: ولكني أنا لاحظت.. إن لك عين شاب.. ولسان شيخ!
- صديق: (كالمخاطب نفسه) عجبًا!.. يا لدقة الملاحظة عند المرأة! "[1]

تتغير نظرة "لطيفة" زوجة الدكتور طلعت لصديق الشاب وتشعر تجاهه بمشاعر مختلفة فهو الشاب الوسيم الذي لا تستطيع مقاومة نظرات عينه الجذابة:

- "لطيفة: إذا كانت نفسك غير مطمئنة لذلك ولا مرتاحة له، فلماذا لا تثور؟!..
- صديق: أثور؟!..
- لطيفة: بالتأكيد.. أنت في سن الثورة.. إذا لم نثر في شبابنا على الوضع الذي لا يريحنا، فمتى

(١)- المسرحية، ص ٨٥-٨٦.

نثور؟!.. إني أنتظر منك كلمة..

- صديق: كلمة؟!
- لطيفة: كلمة واحدة: "لطيفة.. إني أحبك.. ضعي ملابسك في حقيبة.. ولنهرب معًا إلى أي مكان في الأرض!... "
- صديق: وزوجك؟!..
- لطيفة: إني لم أكن بزوجي مغرمة في يوم من الأيام.. وما من أحد يرغمني على أن أضيع شبابي بجوار رجل لا أحبه؛ قد فقد عقله ووضع في مصحة
- صديق: والمجتمع؟.. وما سيقوله الناس؟!
- لطيفة: المجتمع.. والناس؟!.. أرأيت يا عزيزي صديق؟! أهذا كلام شاب في مثل سنك؟!.. أيوجد الشاب الذي يصم أذنه عما يضطرم به قلبه، ليصغى إلى ما يلغط به الناس؟!.. أيوجد الشاب الذي لا يندفع خلف عواطفه، ليقعد جامدًا يفكر في العواقب التي سيرتبها المجتمع، والنتائج التي ستتمخض عنها الليالي والسنوات؟!
- صديق: (كالمخاطب نفسه) هذه العواقب أبصرها.. وهذه النتائج أعرفها..
- لطيفة: من أدراك؟!.. هل تقرأ المستقبل؟!
- صديق: (كالمخاطب نفسه) أقرأ الماضي!..
- لطيفة: (في دهشة) الماضي؟!.. أمثلك له ماض؟!..
- صديق: (يستدرك) ماضي رجل آخر.. اندفع في شبابه.. واغوى زوجة زميل.. وكانت مأساة.. لم ينسها له المجتمع في كهولة ولا في شيخوخة!
- لطيفة: (تتذكر) آه.. تقصد ما حدث للمرحوم "صديق باشا رفقي" في شبابه؟ هذه أشياء أصبحت في ذمة التاريخ يبلغنا خبرها اليوم.. ويدهشني أنك تحلها من نفسك محل الاعتبار".[1]

(١)- المسرحية: ص ٨٦-٨٦.

ونلاحظ من الحوار السابق مدى صراع الباشا الداخلي فهو لا يظهر الشباب إلا في شكله الخارجي، وقوته الجسدية، ولكن عقله مازال حكيما وشيخًا وقورًا يزن الأمور بميزانها قبل النطق بها، وهو ما يضع ساترًا عازلاً بينه وبين زوجة الطبيب الذي أصبح ملازمًا لها خاصة بعد إصابة زوجها الدكتور بالجنون.

ثالثًا- نتائج المشكلة وآثارها:

إن الفكرة التي يعالجها "الحكيم" فكرة فلسفية ذهنية؛ لذا جعل الشيخ يحيا حياة الشباب ليخوض التجربة بنفسه، ويدرك حقيقة العلاج، فكانت نتيجة التجربة أن الباشا يريد أن يعود شيخًا كما كان، وهو ما يظهره الحوار الآتي بين صديق والدكتور "طلعت" حينما توسل إليه ليعيده كما كان: "صديق: نعم.. أتوسل إليك في.. أسرع وقت.. غدًا كما قلت ووعدت.. غدًا جهز لي الحقنة المضادة المباركة.. وعلي أنا أن أخرجك من هذا المكان الليلة.. نعم.. سأخرجك من هذه المصحة، على أن تخرجني أنت غدًا من هذا الشاب!.. "[1]

وهنا ينقلب حال البداية إلى حال أخرى لا يعرف كنهها غيره؛ فهو الذي لا يريد الآن البقاء على شبابه بل ويترجى طبيبه أن يحقنه بالحقنة المضادة (إني أعيش بأمل واحد الآن.. هو أن يكون عندك لتلك الحقنة الملعونة ترياق.. بالطبع.. إني أعرف أن لكل تركيب ضدا): "صديق: (بفرح) غدًا.. غدًا أعود سيرتي الأولى؟... غدًا أعود "صديق باشا رفقي" في نظر أسرتي.. وفي نظر الناس.. وفي نظر المجتمع؟.. يا للسعادة!.. هذا القلب الذي لم يستطع أن يدق لحب جديد.. ولا لمصير جديد!.. نعم.. تلك هي الحقيقة يا طلعت.. إن الشباب ليس في الجسم.. ولكنه في النفس أيضًا.. إنك قد أعطيتني الجسم الفتي، ولم تعطني النفس الفتية الجديدة، التي تبصر الحياة الجديدة.. وترى كل معنى من معانيها كتابًا لم يفتح بعد. الحب. المجد، الغد.. كل هذه المعاني قد زالت عندي جدتها، وضاعت فرحتها.. أتستطيع أن تصدق أو تتصور أن الأكل الدسم التي كنت أتمناها في شيخوختي، قد ذقتها اليوم فلم أجد لها عين الطعم اللذيذ الذي كنت أجده لها في شبابي الأول.. الحقيقي.. وقل مثل

(١)- المسرحية، ص ١٢٦.

ذلك عن النساء والملاهي والسهر والعبث واللعب والحب والطموح والحرية والمستقبل.. كل هذا لم يعد له عندي نفس المعنى ولا نفس المذاق.. ما قيمة الشباب لي إذن؟.. إنه بالنسبة إلى نفسي الهرمة دار غربة!.. إنك ألقيت به في عالم غريب يا طلعت"!.. وقد زاده غرابة اضطراري إلى الكفاح من أجل العيش!.. رئيس وزارة سابق مثلي يعمل صبي كاتب قيودات في شركة زيوت؟! لم أستطع غير ذلك؟ أين هي الشهادات التي يمكن ان أتقدم بها الآن إلى وظيفة أرقى! تصور هذا الدماغ الذي صرف شئون البلاد مدى أعوام.. واعتاد الاشتغال بالأمور الجسام، يتراجع ويصغر وينكمش؛ ليشغل بجمع وطرح أتفه الأرقام!.. ستقول لي يا "طلعت" إن تجاربي الخطيرة في سياسة الدولة لم تزل موجودة.. نعم هذا صحيح.. ولم يفتني ذلك.. خذ وانظر واقرأ.. (يخرج من جيبه أوراقًا) خذ واقرأ.. ". [1]

وتأتي المفارقة بعد المرور بالتجربة، حيث تغيرت نظرة الباشا بعد خوض التجربة التي عاشها، فلم يعد للطعام متعة كالتي كان يتمناها، ولم يعد للسهر واللعب والنساء نفس المتعة التي كان يشعر بها في شبابه. وهذه الأشياء هي التي كان يريد أن يعود شابًا من أجلها. ويستخدم" الحكيم" الحوار ليؤكد على فكرته من خلال شخصياته، فالشخصيات تنطق بأفكاره وتتوجه بوجهته والصراع الدرامي تبرزه الفكرة عمومًا في النص المسرحي.

استخدام أسلوب تبديل الأدوار للإقناع بوجهة النظر:

تمثلت مظاهر الصراع في النص أيضًا في اعتماد "الحكيم" على أسلوب تبديل الأدوار، يظهر ذلك الحوار بين "جليلة هانم "زوجة الباشا و"لطيفة" زوجة الدكتور طلعت، حيث ينقل وجهة نظر الاثنين في بعض الأمور الحياتية:

- "زوجة الباشا: في مثل سني أنا يا لطيفة" تتعذر الحياة بعيدًا عن هذه الذكرى. "صديق" هو كل ماضي وكل شبابي وكل حياتي.. لا أستطيع التفكير في ماضي بدون التفكير فيه.. ولا يمكن التفكير في الماضي، والماضي لمثلنا هو كل ذخيرتنا.. أما الباقي لنا في الحياة فأيام فارغة نقضيها في التحسر على زماننا، وفي انتظار نهاية عمرنا..

(١)- المسرحية، ص ١٢٤-١٢٥.

- لطيفة: عمر مديد إن شاء الله!..

- زوجة الباشا: وماذا أفعل بالعمر المديد يا لطيفة؟.. هل سأضع مستقبلا جديدا؟!.. المستقبل لكم أنتم.. نحن يكفينا الماضي.. ". (١)

يحاول"الحكيم" في كل مناظره المسرحية أن يركز على فكرته الأساسية وينقل من خلال شخصياته وجهة النظر حول رؤية كل من الشيوخ والشباب للحياة، فها هي "جليلة" هانم زوجة الباشا بعد الأربعين-أربعين زوجها- تخرج لأول مرة لزيارة الدكتور "طلعت" طبيب الباشا، وصديق العائلة تتناقش مع لطيفة في فكرة الزمن، والعمر، والشباب، والماضي، والمستقبل؛ لنخلص في النهاية أن لكل منا ذكريات، وآلام، وآمال لا نستطيع تداركها من وجهة نظر الشيوخ؛ لأنهم يملكون ماضيًا وحاضرًا، أما الشباب فلأنهم يملكون الحاضر فقط، فهم الذين يغيرون ويثورون ظنًا منهم أن مخالفة الآخر صحيحة دائمًا أو مصدر من مصادر القوة التي تساعد على التغيير والثورة وإثبات الوجود.

ويثبت "الحكيم" أيضًا انتصارًا لفكرته أن الأمور الواحدة تتغير أراؤنا عنها من مرحلة إلى أخرى، فمرحلة الشباب تختلف عن مرحلة المشيب، فإن "جليلة هانم" تعترف "للطيفة" أنه لولا إلحاحها لإتمام فرح ابنتها نبيلة، ما كانت فعلته الآن بعد الأربعين بأيام؛ لتنطق الشخصية بالفكرة نفسها حين تسألها لطيفة -وهي تمثل مرحلة الشباب في النص- لو كنت مثلها وفي عمرها ماذا تفعلين: "لطيفة: دعيهما يفرحا.. لا شيء ينكد على العروسين مثل هذه العقبات!.. بالله يا تيزة لو لك مثل هذا في شبابك، ماذا كنت تصنعين؟..

- زوجة الباشا: بيني وبينك.. حدث.. كانت في أيامنا عوائد تقضي بأن تمضي بين تقديم الشبكة وعقد العقد فترة طويلة.. وبين العقد والدخلة فترة أطول.. وقبل الدخلة أفراح في ليال متعددة متعاقبة، تحييها العوالم بالطبلة والرق والصاجات، كانت تسمى "الضميات". كل هذا كان يبدو في عيني أنا العروس بطيئًا مملا سخيفًا.. وكنت أسأل بصبر نافذ عن نهاية هذه الإجراءات.. فكان العجائز يقلن لي: "عيب.. عيب.. أيوجد بنت تظهر لهفتها أو تسرعها! ".

(١)- المسرحية، ص ١٠٢.

- "لطيفة: (باسمة) رأيت يا تيزة؟!.. "نبيلة" و"مدحت" إذن لهما حق..

- زوجة الباشا: لست أنكر ذلك.. كلنا في الشباب كنا متعجلين، متلهفين على المستقبل.. لأنه كان كل ما نملك.. لم يكن لنا الماضي بعد.. ولكن ضعي نفسك يا "لطيفة" في مركزي الآن.. إني مقيدة..

- لطيفة: ولكن الشباب غير مقيد!

-زوجة الباشا: عارفة.. ولذلك تختلف ونصطدم.. ولكنك أنت يا "لطيفة" التي توسطت في المسألة، كنت أود أن تفهميني..

-لطيفة: لا تؤاخذيني يا تيزة!.. لا أستطيع أن أفهم غير شعور "نبيلة" ومدحت!

-زوجة الباشا: جيلك! صدقت.. ليس من السهل عليك أنت أيضًا أن تفهميني. ثقي أني لست ظالمة ولا متعنتة.. إني أحب لابنتي أن تفرح اليوم قبل الغد.. ولكن ماذا أصنع؟ الأيام علمتني أن هذا التصرف جائز، وأن هذا التصرف معيب!..

-لطيفة: أيامنا الناشئة لم تعلمنا بعد شيئًا غير أن نفرح بشبابنا!.. افرحي معنا يا تيزة.. ووافقي من كل قلبك، واذكري أيامك الأولى عندما كنت تسمعين من العجائز كلمة "عيب يا بنت" فتضحكين!..

زوجة الباشا: (تهز رأسها تجمد عينها تذكرًا للماضي) صدقت يا "لطيفة".. صدقت!. "[1]

يظهر الحوار بعض الملاحظات:

١- المرونة التي يتمتع بها الإنسان في مرحلة المشيب -على غير السائد-؛ فقد استطاعت جليلة هانم تخيل الموقف، أما لطيفة فلم تستطع بل علقت بقولها لم أفهم غير شعور "نبيلة"، و"مدحت". وهذا يحيل إلى الخبرة والصبر الذي يتحلى به الكبار.

٢- يتمسك الكبار بالعادات والتقاليد التي يفرضها المجتمع، ويحاول قدر استطاعته الالتزام بها حتى وإن لم توافق هواه، أما الشباب فيضربون بها عرض الحائط في أحايين كثيرة لأنهم لا يدركون أهميتها، ولا يعولون على الأهمية الاجتماعية لآراء الغير عمومًا.

(١)- المسرحية، ص ١٠٣-١٠٤.

٣- ينقل الحكيم في نصه بعض مظاهر الاحتفال الاجتماعية في فترة الأربعينات، وهي إقامة ما يسمى بالضميات، والليالي المتتالية السابقة لإقامة العرس.

رابعًا- علاج المشكلة في المجتمع والنص:

إن تجاوز الفجوة بين الجيلين ليست بالأمر العسير، إذ يمكن تجاوز مظاهر تلك الفجوة ببعض الحلول العملية من منظور علم الاجتماع وعلم النفس أيضًا:

- لابد من البحث عن لغة مشتركة بين الشباب والشيوخ.
- تفهم منطلقات الآخر بدلًا من الاستماتة في البحث عن المبررات.
- التحرر من عقدة تقديس الأشخاص مهما علت مناصبهم.
- اعتماد المنهجية المتصلة المبنية على دراسة الواقع واستشراف المستقبل(١).

- اعتماد "الحكيم" على تيار الوعي (الحُلم):

تتخذ المسرحية من تقنية تيار الوعي نسقًا معتمدًا، حيث تتدفق الأفكار بصورة حرة في عمق عقل الشخصية/ البطل "صديق باشا رفقي"، وتكشف من خلالها عما يمور بداخله من اشتباكات مع الواقع الاجتماعي، كما أن الأحلام تعد أحد أهم النوافذ التي يتمرد من خلالها الإنسان على الواقع المعيش، ويتطلع لمستقبل أفضل يريد الوصول إليه، لذلك يعد من أهم الوظائف الحلم البلاغية هي الإزاحة أي ان الحلم "يمتلك قوة قادرة على إزاحة هموم الواقع الرديء الذي عاشته الشخصية الفنية قبل النوم، وهذا الواقع يشكل ضغطًا على كاهل الشخصية(٢).

إذا كان المنهج الاجتماعي يربط الأدب بالمجتمع، فإن الأديب هو أقدر من في المجتمع على نقل أحاسيس ومشكلات المجتمع إلى الأدب؛ حيث "اتجه معظم كتاب الرواية نحو نقد المجتمع من أجل الإصلاح والنهضة والتقدم من خلال تقديم نماذج إنسانية مأزومة، تعكس حركة المجتمع وبعض

(١)- السيد محمد الشاهد: إشكالية الحوار بين الأجيال نظرة تحليلية للأسباب والانعكاسات الاجتماعية، ص ١٣٣.

(٢)- د. حسن البنداري: تقنية الحلم في النص القصصي عند نجيب محفوظ، مكتبة بورصة الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠١٧، ص ١٥.

قضايا الواقع". [١]

وقد وظف "الحكيم" الحلم في المسرحية للتعبير عن العديد من القضايا والأفكار الذي ناقشها من خلال حوار الشخصيات. وناسبت طبيعة الحلم ومستوياته طبيعة فكرة الحكيم وفلسفتها؛ لأنه من غير الواقعي علميًا اكتشاف مادة تعيد تجديد الخلايا البشرية، وهو ما يبرزه قول الشاعر:

ألا ليت الشباب يعود يومًا... فأخبره بما فعل المشيب

والحلم في المسرحية كانت له دلالة تناسب واقع الشخصية؛ إذ الحلم "يمتلك خاصية الإزاحة بمعنى إبعاد واقع ردىء تأباه الشخصية، وتود التحررمن سطوته، والتخلص من وطأته"[٢]، فإن أعراض الشيخوخة الشكلية -الجسمية- التي تمثلت في وضع الخضاب على الشعر والشارب جعلت لديه فرصة كبيرة في التخلص من جميع أعراض الشيخوخة مرة واحدة، إضافة إلى الأعراض النفسية التي منعته من مغامرات الشباب التي عُرف بها في شبابه.

وظف الكاتب تلك القوة الإزاحية في المسرحية للتعبير عن رغبات الشخصية الحالمة داخل نصه، وتمثلت الإزاحة المستخدمة في الحلم في غرضين: الغرض الأول: إزاحة الواقع بحلم خاضع لرغبة في الاستبدال (من شيخ إلى شاب)، الغرض الثاني: إزاحة الواقع لرغبة في استبدال زمن بزمن آخر (من فترة الشباب إلى فترة الشيخوخة).

الغرض الأول:

وظف "الحكيم" الحلم في نصه المسرحي بغرض إزاحة واقع سيء، والتطلع لعالم آخر ينبغي أن يعيش فيه، ويظهر الحوار بين الباشا والدكتور رغبة الباشا في الحصول على الشباب مرة أخرى؛ ليتخلص من أمراض الشيخوخة التي لحقت به.

- "الدكتور: المهم الصحة يا "باشا" أرجو أن تكون الحقن قد أفادت!..

- الباشا: أفادت أو لم تفد.. وهل يصلح الدكتور ما أفسد الدهر؟!..

---

(١)- د. طه وادي: الرواية السياسية، دار النشر للجامعات المصرية، ط١، ١٩٩٦م، ص ٥٠.

(٢)- د. حسن البنداري: تقنية الحلم في النص القصص عند نجيب محفوظ، ص ١٤.

- الدكتور: (وهو يفتح قارورة الحقنة) من يدري يا باشـا؟.. ربما أصـبح ذلك في الإمكان غدا.. إن العلم في تقدم مستمر..

- الباشا: عندما يستطيع العلم أن يرد إلى مثلي بعض الشباب، أوصه من فضلك أن يأتي ليقابلني..

- الدكتور: لا تسخر من العلم يا باشا.. إنه قد يقبل التحدي ويأتي بالفعل ليقابلك! "[1].

بعد سـخرية الباشـا من العلم الحديث، وما يفعله في الإنسـان يتغير موقفه حين يعلم بترياق الحقنة السحرية التي تجدد الخلايا وتعيد شبابها ونضارتها كما رأينا قبل ذلك.

الغرض الثاني:

جاء الغرض الثاني بعد تجربة الشباب وفشلها في تحقيق السعادة المطلقة للشخصية، لذا كان تغيير الواقع لرغبة في اسـتبدال زمن بزمن آخر (من فترة الشـباب إلى فترة الشـيخوخة)، فواجهت الشخصية نفسها، فبعد الرغبة الشديدة في التخلص من فترة الشيخوخة وتبدل أحواله في حلمه، يترجى الطبيب بل يتوسل إليه أن يعيد إليه حياته وهو ما يكسبه فرصة جديدة للحياة.

ختم "الحكيم" نصه المسرحي بمشهد النهاية (نهاية الباشا) فبعد إدراكه أنه كان يحلم، يستيقظ ليخبروه بمنصبه الجديد فلا يجد له سعادة في قلبه في استرجاع لما كان فيه من وظيفة صغيرة في منامه، ووصيته لهم لما رأى منهم ما يحدث بعد موته، وهكذا ربط الحكيم بين عالم الشخصية في العالمين العالم الشعوري واللاشعوري.

-"الباشا: (في صوت ضعيف بطيء) أني أعرف.. أكثر من طبك! وقفت حياتي.. في الوقت المناسب.. نعم.. هذا خير ما نفعله وما نتركه.. (ناظرًا إلى مدحت ونبيلة) لكم.. (ينظر إلى جليلة هانم) تلبدت الغيوم في عينيك منذ الآن!.. لا يا جليلة.. لا تسـرفي.. أعرف ما سـوف تصـنعين.. تأملي نسـيج الذكريات.. ولكن في غير أسى!.. لا تسخطي كثيرًا على نذالات الناس.. ابتسمي لها كما أبتسم الآن.. ليس في الإمكان منع حفلات التأبين.. دعي للمتكلمين فرصـتهم فبإظهار حسـن الإلقاء. لابد لهم من اموات، يعلقون على أجداثهم القصـائد والخطب!.. لا تغضـبي للنسـيان السـريع.. ليس يهمني غير

(١) - المسرحية ص ٣٩.

ذاكرتك أنت وحدها!.. هي التي سأعيش فيها معززًا مكرمًا.. بخيوطي البيضاء والسوداء!.. (يلتفت إلى لطيفة) أوصيك بزوجك طلعت! (ملتفتًا إلى طلعت) أظن من تحت نوافذ عيادتك تمر الجنازة!.. هذه المرة لن امشي في جنازتي..

(تميل رأسه على ذراع زوجته..)". [1]

أخيرًا، فإن قضية صراع الأجيال من القضايا المجتمعية المطروحة في الساحة الأدبية لدى الأدباء، التي تحيا على أرض الواقع المعيش، اختلفت طريقة الحكيم في معالجتها بشكل مقنع يعتمد على العقل بنوعيه الواعي، وغير الواعي مما أدى إلى معرفة أسباب المشكلة وكيفية علاجها.

الاختلاف والتناقض سنة الله تعالى في الكون، وأصل الاختلاف هو وجود الثنائيات المختلفة (الليل، والنهار)، و(السماء والأرض)، و(الحقيقة والحلم)، وقد نجح الحكيم في الإقناع الذهني بالفكرة الاجتماعية وبلور للصراع بين الأجيال من خلال الحلم كوسيلة للتنفيس عن النفس، والإفصاح عن الرغبات الداخلية غير المعلن عنها، فبقدر ما كانت الشخصية مختنقة ومحاصرة بأمراض الشيخوخة، بقدر ما كانت رغبتها في العودة، والتحرر من قيود الشباب بعد خوضها التجربة.

أثبت الحكيم باستخدام تقنية الحلم حالة التناقض التي يعيشها الإنسان عمومًا، كما أضافت بعدًا فنيًا عميقًا عن طريق إبراز نواح جديدة للشخصيات الموجودة في النص؛ مما ساعده على الربط بين عالم الحلم وعالم الواقع. كما أنه نقل بعض مظاهر الحياة المجتمعية في فترة الأربعينيات.

عكست شخصية البطل مختلف النوازع النفسية والدينية والأخلاقية التي تتحكم في الذات الإنسانية، فعلى الرغم أنه كان محاصرًا بقيود الأسرة والمجتمع، بقدر ما كانت رغبته في التحرر والاستسلام للانفلات الأخلاقي قوية، ساعده عليها فرصة حقنة الشباب التي راودت حلمه.

(١)- المسرحية، ص ١٥٩.

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر

- توفيق الحكيم: لو عرف الشباب، مكتبة مصر، القاهرة، د ت.

ثانيًا: المراجع العربية

- ابن منظور المصري: لسان العرب بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م.
- آمال السبكي: الحركة النسائية في مصر بين الثورتين، طبعة الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.
- إيليا الحاوي: في النقد والأدب، دار الكتاب، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.
- توفيق الحكيم: زهرة العمر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- جمال محمد مصطفى: سوسيولوجيا المجتمع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٧م.
- حسن البنداري: تقنية الحلم في النص القصصي عند نجيب محفوظ، مكتبة بورصة الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠١٧م.
- حمد الله ربيع: الفوضى التربوية في الوسط العربي (مسؤولية الاسرة والمجتمع)، المكتبة الالكترونية الشاملة، إصدار أكاديمية القاسمي كلية اكاديمية للتربية، باقة الغربية، ٢٠٠٥م.
- حمدي السكوت: قاموس الأدب العربي الحديث، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥م.
- صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، إفريقيا الشرق، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.
- طه وادي: الرواية السياسية، دار النشر للجامعات المصرية، ط١، ١٩٩٦م.
- عبد العزيز السيد: معجم علم النفس والتربية، ج١، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٩٤م.
- عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه دراسة ونقد، المكتبة الشاملة الحديثة (نسخة إليكترونية).
- محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦م،
- محمد مندور: مسرح توفيق الحكيم، مؤسسة الهنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧ م.
- يوسف خليف: مناهج البحث الأدبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.

ثالثًا- المراجع المترجمة:

- رينيه ويلك: نظرية الأدب، ترجمة: محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٤٨م.
- هربرت ماركوز: نحو التحرر، ترجمة: إدوار الخياط، دار الآداب، ١٩٧٢م.

رابعًا- المقالات:

- حلاب نور الهدى: المنهج الاجتماعي في النقد نشأته وخصائصه، جامعة العقيد أكلي محند أو لحاج، الجزائر، ع ٣٨، سنة ٢٠١٥م.
- حواس سلمان محمود: مشكلات الشباب في العالم العربي، مجلة التربية، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، مج ٣١، ع ١٤٢، سبتمبر ٢٠٠٢م.
- سعيد عكاشة: الثورات وصراع الأجيال، مجلة الديموقراطية، مؤسسة الاهرام، مج ١٢، ع ٤٦، إبريل ٢٠١٢م.
- السيد محمد الشاهد: إشكالية الحوار بين الأجيال: نظرة تحليلية للأسباب والانعكاسات الاجتماعية، (مشاركة في أعمال المؤتمر الدولي العلوم الاجتماعية ودورها في مكافحة جرائم العنف والتطرف في المجتمعات الإسلامية) كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، مركز صالح عبد الله كامل للاقتصاد الإسلامي، القاهرة، ج٥، يونيو ١٩٩٨م.
- علي حرب: أضواء تراثية على مرحلة الشباب: تعاقب الأجيال في المنظور الخلدوني، معهد الإنماء، مج ٢، ع ١٧، ١٨، ديسمبر ١٩٨٠م.
- محمد عبد الرحمن المر: ملاحظات حول علاقة الأدب بالمجتمع، جمعية الاجتماعيين في الشارقة
- محمود محمد أسد: الأدب وعلاقته بالمجتمع، جمعية الاجتماعيين في الشارقة، شتاء ٢٠٠١م، مج ١٨، ع ٧٢.
- هوانغ هاو في: صورة المجتمع في روايات يوسف إدريس، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ج٢، ع ٣٥.